المحاضرة الرابعة:

الرواد والتجربة الشعرية -2-

تمهيد: لقد رأينا في المحاضرة السابقة كيف تحّمست نازك الملائكة لريادة الحركة الشعرية الجديدة. ورأينا أيضا الجهود العلمية التي كّرستها في سبيل فرض شخصيتها، التي أرست أسس الشعر العربي المعاصر، فكانت الفحلة التي هشمت أنف الفحل العربي على حد تعبير عبد الله الغذامي.

غير أن هناك شاعرا آخر لا يقل جرأة عن نازك الملائكة حاول منافستها، ألا وهو بدر شاكر السياب*.

السّياب والتجربة الشعرية:

لقد أصدر السّياب ديوان **" أزهار ذابلة"** وفيه قصيدة حّرة بعنوان "هل كان حبا" ومن المحتمل أن يكون الشاعر قد كتب قصيدته قبل أشهر من طبع الديوان على الأقل ، وهذا يعني أن تاريخ كتابة قصيدة السياب سابق لقصيدة نازك الملائكة.

لذلك نقول ما المقياس إذن؟ هل يمكن أن يكون تاريخ الشعر أو تاريخ كتابة القصيدة؟ وما دام تاريخ الكتابة يمكن أن يدخل في تاريخ الافتعال فلا نستطيع أن نأخذ بالمقياس الأول.

ويبدو أن محاولتي الشاعرين —وإن كانت نازك أسبق بالنشر- كانتا متقاربتين في الفترة الزمنية، ولعل ذلك يرجع إلى أن كلاّ منهما كان يقرأ الشعر الإنجليزي خاصة للشاعر **توماس إليوت** وقصيدته الشهيرة **"أرض اليباب". لكن الملاحظ أن تجربة السياب الأولى لم تنشق عن الشكل القديم إلا انشقاقا جزئيا طفيفا لا يوحي لأحد من الناس بالجدّة."**[1]

---

* **بدر شاكر السياب:** شاعر عراقي (1926-1964)، يعدّ ظاهرة فريدة في شعرنا المعاصر خاصة في عملية الخلق الشعري و التعبير المتجدد من خلال كونه الشاعر الذي أثر في الثقافة العربية، من أهم دواوينه: "أساطير" و " أنشودة المطر". و من أشهر قصائده حفار القبور، المومس والعمياء، الأسلحة والأطفال.

[1] **إحسان عباس:** بدر شاكر السياب، ص135.

ولم يواصل على منهجها إلا بعد عام 1949م، في حين أن نازك كانت قد أصدرت ديوانها عام 1949م تحت عنوان **"شظايا ورماد"** مع تسجيل ملاحظة في هذا المقام مفادها: أن نازك كانت مندفعة في الشعر الحر بشكل كبير، غير أنها تراجعت و تشاء مت من مستقبل هذا الشعر، نجد أن السّياب قد طوّر فيه وأثر في معاصريه و الجيل التالي لهو مرد ذلك هو طبيعة المضامين السياسية والاجتماعية التي طرقها السّياب كما في قصيدته أنشودة **المطر** التي يقول فيها:

عيناك غابتا نخيل ساعة السحر

أو شرفتان راح ينأى عنهما القمر

عيناك حين تبسمان تورق الكروم

وترقص الأضواء...كالأقمار في نهر

يرجه المجداف وهما ساعة السهر

تثاءب المساء والغيوم ما تزل

تسبح وتسيح من دموعها الثقال

كأن طفلا بات يهذي قبل أن ينام

بأن أمه - التي أفاق منذ عام

فلم يجدها ثم حين لجّ في السؤال

قالوا له: "بعد غد تعود"

لا بدّ أن تعود

لقد استخدم الشاعر في هذه المقطوعة الرموز الأسطورية، كما لم يفعل أي شاعر عربي سواه معللا ذلك بأن الكلمة العليا في عالمنا المعاصر هي للمادة وليس للروح و لذلك لجأ إلى الخرافات و الأساطير التي ما زالت تحتفظ بحرارتها ،لأنها ليست جزء من هذا العالم ، عاد إليها يستخدمها رموزا و يبني منها عوالم لأنّ عالم الأسطورة

أغنى من عالم الواقع، وقد جمع السياب الأساطير التي وظّفها في شعره من بيئات و ديانات مختلفة و من التاريخ العربي و الإغريقي و الياباني ،إلى أن وصل إلى بلدان الشرق الأقصى .

مثال ذلك يقول السيّاب في قصيدته **رحل النهار:**

رحل النهار

ها إنّه إنطفأت ذبالته على افق توهج دون نار

وجلست تنتظرين عودة سندباد من السّفار

والبحر يصرخ من ورائك بالعواصف و الرعود

هو لن يعود

أو ما علمت بأنّه أسرته ألهة البحار

في قلعة سوداء في جزر من الدم و المحار

هو لن يعود

رحل النّهار

فلترحلي هو لن يعود

إنّ الطاقة الإبداعية عند السّياب هي التي فتحت النص الشعري على عوالم مختلفة ،عوالم لا نهائية من الدلالات الإيحائية ، ولم يعد المعنى المعجمي هو المنطلق في تشكيل الدلالات، التي أصبحت تصدر عن جماليات الذات الشاعرة في تفردها المطلق و في تركيبها لنموذج لغوي جديد لم يسبقه إليه أحد .

وباختصار فقد حوّل السّياب الصورة الشعرية إلى مضمار معرفي تتداخل فيه الثقافات القديمة بالحديثة والشعبية بالأكاديمية على نحو غريب يجعل من القصيدة تركيبة صعبة الفهم ،عسيرة على الذوق لا يستطيع القارئ الوصول إلى دلالتها، إلا بعد جهد جهيد وقد لا يصل في النهاية .